المعرفة

العدد ١٣٠ كانون الأول ١٩٧٢

في هذا العدد:

- مراجعة نقدية لعدد «الوحدة العربية»
- «العصاة» .. رواية سورية رائدة
- عزرا باوند وحركة الشعر الصوري
- قراءة في كتاب «جوريس»

الكتاب العربي:

- مقولتا «الكتاب» و«الرسالة» في التراث العربي
- الكتاب العربي في أقطار المغرب: واقع ومستقبل
- الكتاب الجامعي • الحرف العربي في البرازيل
- رحلة الكتاب العربي في الاستشراق الفرنسي

د. شكري فيصل • انطون مقدسي
د. صلاح الخطيب • خلدون الشمعة
د. بديع حقي • أيمن أبو شعر
عبد الحميد حسن • خالد محيي الدين البرادعي

• جورج سالم
• عبد الكريم غلاب
• د. عمر الدقاق
• خليل الهنداوي

أزمة الكتاب العربي في أقطار المغرب

واقع ومستقبل

عبدالكريم غلاب

من الطبيعي ان تدرس ازمة الكتاب العربي في الوطن العربي جميعه، ذلك ان الكتاب منطقياً متصل بالفكر وبالمستوى الثقافي والحضاري لوطن متكامل ثقافياً وفكرياً وحضارياً، مرتبط لغوياً وجنسياً ودينياً وتاريخياً، متحد في أهدافه ومستقبله ومصيره. ولذلك فصورة أزمة الكتاب في وطن كهذا لايمكن ان تكون الا واحدة، ولايمكن ان تدرس الا بصفة متكاملة.

غير ان أزمة الوطن العربي لا يمكن الا أن تنعكس على أزمة الكتاب العربي. ما يزال هذا الوطن ممزقاً فكرياً وثقافياً وايديولوجياً وربما حضارياً، وما يزال يبتعد عن تاريخه المشترك: التاريخ الحضاري والفكري على الأخص، وما يزال يتباعد في أهدافه ويسير نحو مصير مختلف تدعم اختلافه الانتماءات الفكرية والثقافية المختلفة التي تتعدى التأثر والاستفادة الى الانتماء والتعبد

من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . ثم يزيد في هذا الاختلاف أنظمة الحكم المتباعدة التي لا تتقرب من الوحدة – حتى الثقافية منها – بقدر ما تبتعد ، فتمزق الوحدة عن طريق تباين مناهج التعليم وأنظمته وعن طريق الاختلافات المذهبية والسياسية التي تبلغ من العنف حد قطع العلاقات ، أو تحريم الكتاب والصحيفة ، او الامتناع عن المشاركة حتى في مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر .

ثم إن ظلال الأزمة القائمة تزيد انعكاساً على أزمة الكتاب حيثما تعامله هذه الحكومة او تلك بحذر فتراقبه لتمنعه كما تمنع القدرات الوافدة ، او حيثما تعامله كبضاعة تجارية تخضع لكل قوانين التبادل التجاري وتحويل العملة وتقنين الصادرات والواردات .

كل تلك مظاهر لازمات جانبية ، ولكنها خطيرة ، يجتازها الكتاب العربي في الوطن العربي جميعه . وهي نفسها تنعكس على اقليم عربي بشكل يختلف عنها في اقليم آخر ، ولذلك فهي تفرض أن نناقشها في كل قطر من أقطار الوطن العربي لنخلص في النهاية بالعوامل المشتركة والعوامل الخاصة لازمة الكتاب العربي في الوطن العربي جميعه .

وأول مظهر من مظاهر ازمة الكتاب العربي في اقطار المغرب يأتي من التعليم الذي كانت لغته الفرنسية في كل من تونس والجزائر والمغرب باستثناء اقليم المغرب الذي كانت لغة التعليم فيه الاسبانية . ورغم ان التعليم العربي الذي ناضلت في استمراره كلية القرويين في فاس وفروعها في مختلف انحاء المغرب ، جامع الزيتونة في تونس ، ورغم الجهود التي بذلها التعليم الحر الذي أشرف عليه حزب الاستقلال في المغرب على عهد الحماية وجمعية العلماء المسلمين بالجزائر على عهد الاحتلال ، رغم ذلك فقد ظل خريجو التعليم الفرنسي يكونون الاغلبية الساحقة من القراء في المغرب العربي حتى على عهد الاستقلال .

وقد عانى هؤلاء القراء من مركب نقص ، فهو يتحدثون العربية في المنزل والشارع ويقرأون بها قراءة سطحية ، ولكنهم غير قادرين على القراءة الجادة الا باللغة الفرنسية ، وبالتالي فهم غير قادرين على الكتابة الا باللغة الفرنسية . ونتيجة الشعور بالنقص ، وربما للاحساس الذي يترسب في اللاشعور بعقدة الذنب ، فهم لا يكتبون بالفرنسية لأنها غير لغتهم ، ولا يحسون وهم يكتبون بها انهم يكتبون لشعبهم ، ولذلك لا يكتبون وقد ينصرفون عن القراءة تحت وطأة العقدة نفسها فلا يقرأون حتى بالفرنسية كما هي وضعية معظم المثقفين بالفرنسية .

كانت النتيجة أن القارئين من جيل ماقبل الاستقلال وجيل مابعد الاستقلال هم في غالبيتهم

الذين ناضلوا في سبيل تكوين انفسهم بالعربية او باللغتين معاً ، وان الكتاسم الذين ناضلوا ليتحرروا من مركب النقص وعقدة الذنب فكتبوا بالفرنسية وهم قلة . او الذين ناضلوا في وجه كل هذه الصعوبات فكتبوا بالعربية، وهم قلة ، ولكنهم على كل حال هم الذين يارسون فنون القول باللغة العربية في اقطار المغرب الثلاثة .

مهما يكن نضال هؤلاء واولئك فانه لا ينقذ الكتاب من الأزمة التي يسببها واقع التعليم الذي ما يزال مستمراً على أساس أن الفرنسية هي لغة التلقين لمواد العلمية والانسانية وان العربية تدرس كلغة لا تتيح لتلاميذ المدارس وطلبة الجامعات الا أن يعرفوها كلغة أدبية ، أما حينما يفكرون في العلم او الرياضيات او الفلسفة او السياسة فليس أمامهم الا الفرنسية لأنها اللغة التي ملوءت ذهنهم للتفكير بها سنوات وسنوات .

نحن اذن أمام أزمة مزدوجة يعانيها الكتاب ،

- أزمة انتاج .
- أزمة استهلاك .

والسبب الاساسي فيها معاً هو التعليم الذي لم يتخلص بعد من لعنة التخطيط الاستعماري.

والظاهرة الثانية نتيجة لهذه العلة نفسها أن التعليم مايزال يستمد فلسفته من التوجيه الفرنسي الذي كان يعتمد على حشو الذاكرة بكثير من المعلومات دون أن تترك للمفكر حرية التفتح على الآفاق الواسعة ونتيجة لذلك فالتلميذ والطالب لا يجد الوقت ليتحرر من هيمنة الفصل والاستاذ والكتاب المدرسي ليتجول بفكره في آفاق أخرى كقارىء حر . والأستاذ لا يتمكن – نتيجة اثقال البرامج – من أن يوجه طلابه ليقرأوا ولا أن يفتح أعينهم على الكتب الجديدة حتى في المادة التي يدرسها معهم . ومن ثم ينعدم التوجيه نحو القراءة الحرة وتضعف حاسة القراءة عندهم . ويكون الضحية هو الكتاب .

تستوي في ذلك اقطار المغرب جميعاً لأن التعليم عندها استمد أسسه من التوجيه الفرنسي . ولم تقف هذه الأقطار رغم الاستقلال وقفة مراجعة واعادة النظر في الأسس التي يقوم عليها التعليم لتحدث التغيير الضروري في الأسس الفلسفية للتعليم وفي توجيهه وبرامجه وهياكله ولغته ، وانما كان الاستمرار هو الحل الأسهل . نفس السياسة التي اتبعت في الميدان الاقتصادي وفي السياسة الخارجية وربما في السياسة الداخلية كذلك على اختلاف غير عميق بين الجزائر والمغرب وتونس .

فرنسة التعليم وتوجيه عاملان خطيران من عوامل أزمة الكتاب العربي ، وتزداد

خطورتها تنافسا بالعامل الثالث - وهو العامل الأول في الامية : الأمية .

من نافلة القول أن نتحدث عن التقصير الذي اصطبغ بـه عهد الاستعمار في تعليم المواطنين ، رغم أن ميزانية التعليم (التي يدفعها المواطن) لم تكن تقل عن ٢٠٪ من الميزانية العامة . فقد كانت جميعها تصرف على تعليم أبناء الجالية الفرنسية ، وتصرف بسخاء ، لأن الأستاذ الفرنسي كان يكلف الدولة ثلاثة اضعاف مايكلف الدولة الفرنسية حينما يعمل في فرنسا . كانت الأميةالمنتشرة المتزايدة هي النتيجة الطبيعيـة لاستغلال ولاحتقـار الانسان العربي في المغـرب ، ولنتيجة خوف من أن يتعلم هذا الانسان فيصبح مصدر خطر .

ما تزال ظلال هذه الاميـة منتشرة في المنطقة المغربية من الوطن العربي ، الاجيال التي تكونت في عهد الاستعمار ما تزال الامية متحكمة فيها . والاجيال التي تكونت على عهد الاستقلال لم تتحرر من بقايا السياسة الاستعمارية المتوغلة في النظمة التعليم وأساليبه. فهو تعليم للنخبة ، وبلغة غـير اللغة الام ، ويعتمـد على الآلاف من الاساتذة الاجانب الذين يمتصون الميزانية مهما تكن ضخمـة ، ويعتمد التوجيه الكلاسيكي الفرنسي الذي لا يفتح الافق السريع لعمل امام المتعلـم ، ولذلك لا تجـد الاجيال المتصاعدة الحماس الكافي للتعلم ، وهو يقف عاجزاً عن ان يستغرق كل الاطفال الذين يبلغون سن التعليم فتتضاف الاجيال المتعاقبة سنة بعد سنة الى قوافل الاميين . وهكذا لم يكن في امكان هذه الاقطار ان تنتصر على الاميـة بالنسبة للاجيال الماضية ، بل لم يصبح في امكانهـا ان تعلم الاجيال الصاعدة في السنوات الست عشرة التي مرت على استقلال المغرب وتونس والسنوات العشـر التي مرت على استقلال الجزائر . وأصبحنا امام ارقام مهولة تنشرها الامم المتحدة عن الامية في العـالم العربي . ويتصدر المغرب قائمـة الاميين ٨٩٪ ولا تنافسه او تفوقه الا السعودية التي تبلغ الامية فيها ٩٧٪ وتأتي بعده الجزائر التي تبلغ الامية فيها ٨١٪ ثم تونس التي تبلغ ٦٨،٧٪.

مع هذه الامية الطاغية لايمكن ان ننتظر ازدهاراً للكتاب في مناخ يختنق بالعوامل المتعددة الاخرى :

في مقدمتها - وهذا هو العامل الرابع - ان الكتاب العربي لايكاد يستجيب لاهتمامات القارىء الذي يعاني من المشاكل الاساسيـة مالايجد ظلالها في كثير مما يكتب الكاتبون . مشاكل الحرية والعيش الكريم هي خلاصة اهتمامات القارىء العربي لايختلف المشرقي منه عن المغربي .

القارىء - كالمشاهـد بالنسبة للمسرح والسينما والتلفزيون وكالمستمع بالنسبة

للاذاعة – بتجاوب مع الانتاج الادبي والفني والسياسي الذي يتصل بمشاكله التي يعايشها يوميا : مشكلة الحرية ، مشكلة الكرامة في التعليم والصحة والخبز والعمل ، مشكلة الصراع بينه كممثل للطبقة المسحوقة وبين عالم السوده الفيودالية والاقطاع والاستغلال واحتكار النفوذ ، مشكلة الارض المحتلة والمنهوبة، والمدينة المزيفة، والقرية البئيسة، مشكلة الاستعمار الذي لمتد ظلاله الكئيبة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، والذي يحاصر الوطن العربي من الخليج الى المحيط . تلك بعض اهتمامات القارىء العربي.

فهل يعكسها الكتاب في المغرب العربي ، على قلة ما ينشر منه ؟

اذا كانت القصة والرواية والشعر قد استطاعت ان تتخطى عتبة الاتباعية والرومانسية التقليدية لتعيش مع الشعب في اهتماماته فان الدراسة ما تزال – في اغلبها – ترزح تحت ثقل الماضي وتحت ثقل الاجترار وتكرار النظريات ، وبذلك طبع الكتاب بالجمود والتخلف عن افاق العصر واهتمام القارىء .

ثم ان الجانب الفني في الانتاج الابداعي – القصصي والشعري – مازال يحجب الكتاب عن جمهور القراء . فالذين لايهتمون بالآداب من خريجي الكليات الادبية ، والاقسام الادبية الصرف من هذه الكليات على الاخص لايقرأون القصة والشعر . وبذلك يتضاءل قراء الكتاب الذي يعكس احلام القارىء ، ويجد نفسه في عمق الازمة .

والعامل الخامس الذي يعطي لازمة الكتاب مظهرها الحقيقي ناتج عن الاوضاع السياسية والاقتصادية التي مازال تعيش عليها أقطار المغرب العربي، وهي أوضاع عامة في الوطن العربي جميعه .

الكتاب في كل قطر يعتبر بضاعة محلية داخليه . وعلى هذا الاساس مازال سوقه محدودة . ولكي تتبين خطورة هذه السوق المحدودة نقوم بجولة في امكانات الحصول على زبناء السوق . ولنبدأ بتونس . فكلها لايصلون خمسة ملايين (٤٫٩ م أخر احصاء) القراء منهم (غير الاميين) ٣١٠٣ ولا نملك الاحصائيات لمعرفة مستوى القارىء الفكري ومستواه المادي والاجتماعي حتى نستطيع ان نقدر عدد الذين يستطيعون ان يكونوا زبناء لسوق الكتاب التونسي (مع الاعتذار لاستعمال هذا الوصف) . ولو قدر لنا ان نعرف هذه المستويات لخرجنا بنتيجة حتمية هي ان قارىء الكتاب محدود جداً سواء بحثنا عنه بين المستويات الفكرية او بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية . والنتيجة ان الكتاب التونسي المطبوع في تونس ليس له من الزبناء إلا عدد محدود جداً .

وبمثل هذه النتيجة (مع فارق نسبة الامية) نخرج من عملية مماثلة عن الجزائر (وسكانها لايتعدون أربعة عشر مليونا والقراء – غير الاميين – فيا لايتعدون ١٩٪) وعن المغرب (وسكانه لايتجاوزون ستة عشر مليونا والقراء – غير الاميين – فيه لايتجاوزون ١١٪) .

هناك اذن نضوب في سوق الكتاب بالمغرب العربي ناتجة عن قلة القراء ، فكيف يعامل الكتاب مع هذه النسبة المزرية من القراء معاملة البضاعة المحلية ، فلا تتبادل هذه الاقطار الكتاب الا في حدود ضيقة ، ولا يكاد يقترأ كاتب جزائري أو مغربي أو تونسي في غير قطره – أو قل اقليمه – الا على قلة .

هذه الاقليمية الضيقة – وهي اقليمية نجدها في الوطن العربي جميعه – لها مظهر اقتصادي ومظهر فكري .

المظهر الاقتصادي يتجلى في معاملة الكتاب كأي بضاعة تجارية يخضع لقيود التصدير والاستيراد والدفع ، ويتحكم فيه المسؤولون عن التجارة الخارجية وعن العملة الاجنبية كما تتحكم فيه السوق بكل حسناتها ومباذلها . وبذلك يحاصر الكتاب في اقليمه الضيق وفي الظروف غير المواتية التي شرحنا .

أما المظهر الفكري فهو الشعور الذي يترسب من الاقليمية الضيقة في نفوس القارئين نتيجة لضآلة ما يصلهم من كتب الأقاليم الاخرى ونتيجة لتحكم القطرية والاقليمية على حساب الوحدة والقومية ، وبذلك لايكاد يقرأ القارىء إلا الكاتب من قطره .

وهذه محاصرة اخرى للكتاب العربي .

من الاقليمية الضيقة في المغرب العربي الى الاقليمية الضيقة في الوطن العربي . مازلنا نسمع – رغم ربع قرن من دعوى الجامعة العربية والوحدة العربية – عن الكتاب المصري والكتاب اللبناني والكتاب السوري او المغربي . هذا الاسم أو الوصف يترجم حقيقة واقعية خطيرة ، وهي ان الكتاب اقليمه الخاص به فلا يطبع في مصر مثلا – وهي السباقة في ميدان الطباعة والنشر والتوزيع – الا كتب المؤلفين المصريين ، ولا يطبع في المغرب ولا يطبع في سورية أو تونس إلا كتب المؤلفين الاقليميين . نستثني من ذلك لبنان التي بدأت تحطم هذه القيود بنشاطها الطيب في ميدان النشر والتوزيع ، ولو أنه لايكاد يشمل المغرب العربي برعايته نتيجة عقدة تجارية اخرى هي عقدة المؤلف المشهور . ونتيجة لهذه القيود النفعية وقيود التجارة الخارجية لايكاد يجد القارىء في السوق الا الكتب المحلية ، ونتيجة للجهل بالمثقفين والادباء والكتاب خارج القطر لايكاد يقرأ الكتاب إلا في حيه .

ومن أجل ذلك لايصل الكتاب المغربي الى أي قطر من أقطار العربية .

وهذه خاصرة اخرى تكاد تكتم انفاس الكتاب في المغرب العربي .

مشكلة النشر والتوزيع لتكون جانباً مهما من ازمة الكتاب . لم يصبح النشر بعد عملية تجارية رافقة في المغرب العربي . لم تتكون حتى الآن دار للنشر في المغرب ، وباستثناء « دار الكتاب » و « دار الفكر المغربي » اللتين نشرتا كتباً محدودة لاتستعصي على العد ، وباستثناء الكتب المدرسية التي تجد لها سوقاً رابحة وباشرين كثيرين فان النشر في المغرب يكاد يكون منعدماً . يقدم بعض الكتاب على نشر مؤلفاتهم ، ولكن صلتهم بالنشر تنتهي عند التجربة الاولى .

وفي الجزائر لايكاد الامر يختلف ، وقد أسست الحكومة اخيراً داراً للنشر — او هي أنشأتها — ولم تنشر حتى الآن الا بعض الكتب بالفرنسية .

وفي تونس أسست الحكومة الدار التونسية للنشر التي تبذل جهوداً مشكورة في نشر الانتاج التونسي وكتب التراث ، ولكن عملها ما يزال في حدود ضيقة لان امكانياتها المادية محدودة ، وعملها كقطاع عام يعوق المبادرات الفردية ، لأن المؤلفين يعتمدون عليها ولو انتظروا دورهم في النشر شهوراً وسنوات . ولم تنشأ مجالبها حتى الآن دار خاصة للنشر تتحرر مما قد يكون في القطاع العام من قيود وبطء ناتج عن روتينية الادارة وبيروقراطيتها . ومع ذلك فان الدار التونسية خطت بالكتاب التونسي خطوة مهمة الى الامام لم يخطها الكتاب في المغرب أو الجزائر .

ومشكلة النشر مرتبطة حتماً بمشكلة التوزيع . وهذه مرتبطة بالقيود التجارية والنقدية . ولكن القيد الثقيل هو ان توزيع الكتاب قطريا في المغرب العربي مايزال يخضع للتجارة البدائية . لايبحث الكتاب عن قارىء بمقدار ماينتظر قارئاً يبحث عنه . ومن أجل ذلك لاتبذل المكتبات الا جهد التاجر العادي ، تضع الكتب على الرفوف في انتظار الزبناء . والمغامر الذي يطبع كتابا من كتبه عليه ان يطوف الاسواق في كل مدينة يبحث فيها عن مكتبة يرجوها ان تستضيف نسخاً من كتابه على ذمة البيع ..

كانت توجد في أقطار المغرب الثلاثة مؤسسات محلية لتوزيع الصحف والمجلات والكتب (الفرنسية والتي تطبع في فرنسا طبعاً) تابعة لمؤسسة « هاشيت » الفرنسية وقد ظلت تحتكر استيراد الكتاب الفرنسي وتوزيعه حتى استعاضت عنها تونس بمؤسسة للتوزيع تابعة للدولة تحتكر الأدوات القرطاسية والمدرسية الى جانب الصحف والكتب . ولكنها اذا كانت قد نجحت في

القرطاسيات والصحف لان أرباحها مضمونة فقد فضلت في الكتاب ، والكتاب العربي بخاصة ، لانه في حاجة الى الجهود أكبر ، وأرباحه غير مضمونة .

وأمت الجزائر حديثاً هذه المؤسسة ، وهي تحتكر توزيع الكتاب ، ولكن جهودها لم تثمر حتى الآن .

أما في المغرب، فقد « مغربت » الحكومة المؤسسة الفرنسية لان التأميم لايدخل في حساب النظم الليبرالية ، وتشارك الحكومة في رأسمالها الى جانب بعض الخواص (من نوع خاص) ولكن طابعها لم يتغير ، فهي توزع الصحف والكتب الفرنسية ، اما الكتب العربية سواء طبعت في المغرب او الخارج فهي لاتوزعها الا في حدود ضيقة وباهمال كبير . بالاضافة الى انها تقتضي عمولة مرتفعة .

وهكذا يبرز الكتاب بأزمة اخرى من ازمات الاختناق ، وهي من اخطر الازمات التي تضع الكتاب ، الذي ينفذ من كل مشاكله ، في عنق الزجاجة فلا يصل الى يد القارىء منه إلا من تخطى عتبة التوزيع .

وقليل من الكتب من يتخطاها .

كل تلك المشاكل تجعل المطبوع من الكتاب الذي ينفذ من كل هذه العراقيل لا يكاد يصل ثلاثة آلاف نسخة ولا يعدو طبعة واحدة . وقليلة هي الكتب التي أعيد طبعها . ثلاثة آلاف نسخة من كتاب مكتوب بلغة يتكلمها مائة وعشرون مليوناً من البشر . هذه الحقيقة تعتبر إدانة خطيرة للثقافة العربية والوطن العربي ، خاصة اذا عرفنا أن الكتاب الفرنسي أو الانكليزي مثلاً لا يعتمد أساساً على قرائه من الفرنسيين أو الانكليز بقدر ما يعتمد على القارئين بالفرنسية او الانجليزية في مختلف انحاء العالم، ولا يكاد يصدر في باريس او لندن او نيويورك حتى تصل نسخه الى نيودلهي او كراتشي او استراليا أو جنوب افريقيا والى هانوي أو كوناكري ، أو دكار أو الرباط أو كندا .

انها حقيقة تدين الفكر العربي حقاً ، ولكنها قبل ذلك تدين الحكومات العربية التي ما تزال تخرج الكتاب من نطاق مسؤولياتها فلاتبحث مشاكله ولاتحل أزماته ان لم تكن تزيد في تعقيد هذه الأزمات وفي مضاعفة المشاكل .

والكتاب الذي يتخبط في كل هذه الأزمات ، وفي الأزمة التي هي خلاصتها جميعاً : قلة القراء ، يواجه الازمة — النتيجة ، أعني غلاء الطباعة . فان كتاباً يطبع منه الفان او ثلاثة يكلف أضعاف ما يكلف كتاب تطبع منه عشرات الآلاف ، وبذلك يرتفع سعر انتاجه واستهلاكه على السواء . يضاف الى ذلك غلاء الورق والطباعة في المغرب العربي بما لا يقل عن

ضعف سعرها في لبنان مثلا . ومستوى معيشة الطبقة القارئة في هذه البلاد لا يتحمل هذا السعر مع أرباح الناشرين والموزعين .

لم نشر فيما تحدثنا عنه حتى الآن الى أرباح الكاتبين . واعتقد أن القارىء يدرك من حديثنا هذا أن الكاتب بالعربية في المغرب العربي لا يكاد يفكر في اي تعويض عن انتاجه، ان لم يكن الكثيرون قد أصيبوا بخسارات مادية ضخمة نتيجة شجاعتهم في طبع كتبهم على نفقتهم ، وليس من مصلحة الكتاب في شيء الا يحصل الكاتب على اي تعويض مادي عن عمل يستغرق اعداده شهوراً وربما سنوات .

ويزيد الفن وضوحاً ان الحكومات في هذه البلاد لا تعنى بتشجيع الكتاب ، فلا تقتني وزارات الثقافة او ما يعادلها من المصالح الحكومية أية كمية من الكتب المطبوعة ولو على نفقة مؤلفها . وقد سن اتحاد كتاب المغرب سنة طيبة هي أن يقتني كمية محدودة من ست كتب يختارها كل سنة من الكتب التي تطبع على نفقة مؤلفها كمساهمة منه في توزيع الكتاب وفي نفقاته .

ذلك عن واقع الكتاب .

أما عن المستقبل فليس في امكاننا أن نرسم صورة واضحة عنه الا من خلال الصورة التي يمكن أن نأخذها من مستقبل التعليم ، ومستقبل المستوى الاقتصادي والاجتماعي لكل قطر ، ومستقبل الحرية في هذه البلاد جميعها ، ثم — وهذا في الدرجة الاولى — مستقبل العلاقات بين مشرق الوطن العربي ومغربه وتحطيم الحواجز الاقتصادية والتجارية والنقدية وحواجز النقل وغلاء البريد بين الاقطار العربية جميعها .

نحن نؤمن بالمستقبل ، لأن الشعوب التي ركعت طويلا تحت تأثير التخلف والاستعمار قد أخذت ترفع رأسها وتنهض من كبوتها . وقد دأبت الحركات الوطنية على العمل لتعريب التعليم حتى تصبح العربية لغة الفكر فتخرج الكاتب والقارىء العربي من عقدتها. واذا كانت قد انتصرت في الجزائر فقررت الحكومة تعريب التعليم تدريجياً في هذه البلاد فما تزال تصطدم بالافكار الرجعية في كل من المغرب وتونس التي تؤمن بأن لغة التلقين في المواد العلمية يجب أن تظل الفرنسية . ولكن فكرة التعريب تنتصر ، واعتقد أن التجربة الجزائرية ستعجل بالانتصار في المغرب وتونس .

والافواج الزاحفة من شباب هذه البلاد ستدعو الى تعميم التعليم ، لأن الشباب أخذ المبادرة فأخذ يطرق ابواب مصيره بأيد قوية. ولن يترك هذا المصير تعبث به مصالح العابثين .

واذا ما انتصرت فكرة الشعب العربي في تحطيم الحواجز بين هذه الاقطار المغربية وبينها وبين الاقطار العربية الاخرى فسيتجول الكاتب العربي بلا جواز ، لايتعثر في حدود ولا تقف في وجهه حواجز التجارة والنقد ، ولا رقابة الجاكين هنا وهناك . عند ذلك سيزدهر الكتاب كتابة وقراءة ، لا في هذه الديار فحسب ، ولكن في كل دار من ديار العرب .

ومع ذلك فلن يزدهر الكتاب الا بتنظيم سوقه عن طريق التوزيع المشترك ودور النشر العربية التي تتخلص من فكرة الاقليمية الضيقة فلا تنشر الكتاب لانه ينتمي لقطر معين ، ثم هي ترجو أن تنشر منشوراتها في الاقطار العربية جميعها .

أكون صادقاً اذا قلت ان الخطوة يجب أن تأتي من أقطار المشرق العربي فعندها من التجربة والممارسة ما يجعل القدوة تأتي منها .

وما زال نأمل في ان تؤسس دار قومية للنشر على مستوى الوطن العربي لا على مستوى القطر الواحد ، تساهم فيها كل الاقطار ، وتكون لها فروع في مختلف الأقطار ، تدرس موضوع التوزيع والنشر والتعريف بالكتاب دراسة علمية لا على اساس تجاري فحسب ، ولكن كذلك على اساس ثقافي تستهدف صالح الكتاب الى جانب مصالح الارباح .

ليس المهم هو تفاصيل هذا الاقتراح ، فالتفاصيل تدرس في حينها ، ولكن المهم هو الاساس الذي يقوم عليه تعاون وثيق بين مختلف اقطار الوطن العربي لانقاذ الكتاب من ازمته الخانقة وبالتالي انقاذ الثقافة العربية من التخلف الذي يدعمه تخلف الكتاب العربي .

هل تقوم بهذه الخطوة الحكومات او المثقفون انفسهم ؟

لا مجال لغير التعاون القائم على الثقة بين الطرفين لصالح الكتاب وصالح الفكر العربي .

عسى أن تكون السنة الدولية للكتاب باعثاً للمثقفين العرب على ان يضعوا اللبنة الاولى في طريق هذا التعاون . وعسى أن ينتهي المثقفون الى اتجاه عملي يصادق عليه مؤتمر الأدباء العرب الذي سينعقد في بداية السنة القادمة في تونس .

الرباط (المغرب)